الملتقى الفكري للإبداع

رؤية معاصرة لعلوم القرآن

إلياس قويسم

١٦ / ٣ / ٢٠٠٩

رؤية معاصرة لعلوم القرآن

توطئة

بما أن الحضارة الإسلامية هي حضارة نص –كما يقول نصر حامد-فإن العلماء المسلمين قد اختلفوا إلى ابتكار علوم وسائل تساعدهم على الاقتراب من النص ومزيد فهمه،على النحو الذي يمكنهم من نهج الطريق الذي رسمه الخطاب القرآني،لذلك ظهرت علوم متعدّدة في هذا الميدان تخدم كل واحدة منها ظاهرة معيّنة من النص القرآني،فكان علم أسباب النزول قد حاول تتبع الآيات التي ارتبطت بها أسباب و وقائع قصد فهمها،وتمكين المفسر من أخذ الحكم في ما يتعلق بها هل هي من قبيل الخاص أم العام،وهناك علم الناسخ والمنسوخ الذي يهتم بالنسق الزمني للآيات حتى يدرك أي الآيات سابقة عن الأخرى لأجل إدراك الحكم المنسوخ و الحكم الناسخ،أي الحكم السابق و الحكم الجاري به العمل،هذه العلوم وغيرها سخرها القدامى لأجل الاشتغال في النص القرآني،وقد بلغت هذه العلوم من الكثرة في العدد والتأليف حتى قيل إن هذه العلوم قد نضجت حتى احترقت.من ثم يسوغ لنا القول أنّ الهاجس الذي حرك القدامى هو هاجس معرفيّ-وظيفي وهو كيف يمكن إنتاج قراءة للنص القرآني أقرب ما تكون إلى المراد الإلهي بجهود إنسانيّة محدودة؟ إذن فمحرك هذه القراءة هو الكشف والاستقصاء،والبحث عن المتحجب في النص و الكشف عن المجهول فيه،باختصار إنها تبحث عن الآليات المستخدمة في النص في سبيل إنتاج المعنى،وهذا الفهم ييسر عليهم عملية استثمار النص القرآني باعتباره خطابا موجّها إلى البشر قصد توظيفه في واقعهم،و تمكينهم من مفاهيم و رؤى فكرية،شرعية،وجودية،يكيفون بها وجودهم ويعملون على ترميم الخلل القائم فيه،)هذا ما حصل قديما في مراحل التأسيس و التدوين،وفي عصور الإشعاع و الازدهار،ابتداء من الشافعي و انتهاء بالزركشي في مصر أو بالشيرازي في فارس،مرورا بابن رشد في المغرب،فضلا عن سائر الأعلام الكبار الذين قرؤوا النص،كل بلغته وفي مجاله ومن موقعه،قراءة منتجة خلاقة تنويرية،وذلك بصرف النظر عن المذاهب التي تبنوها و العقائد التي دافعوا عنه([i])

٢. التقييم المعاصر لجهود القدامى في مجال إنتاجهم لآليّات فهم النصّ المقدّس

من هذا المنطلق نجد أن القدامى رغم تمسكهم بمبدأ قدسية النص القرآني،فإن ذلك لم يكن حاجزا أمامهم لتوظيف آليات علمية و مناهج بشرية لفهمه،أي أن هذا الاعتقاد بوجود ميتافيزيقي للنص لم يكن ليمنعهم من إمكانية الفهم العلمي للنص،ومن ثم إدراجه في واقعهم.) و من المعلوم أن الجهود التي بذلها علماء التفسير قد أثمرت علما صحيحا له موضوعه و أصوله و له مسائله ونظرياته،كما تجلى ذلك على نحو خاص في "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.وهذا هو منطق العلم و البحث.إنه يقوم على تحويل اللامعقول إلى معقول ...و لهذا فإن خطاب المفسرين هو في منطقه علمي ناسوتي بالرغم من

منطوقه اللاهوتي أو الأسطوري.([ii]

- لعل أهم العلوم القرآنية التي تشغل فكر نصر حامد في مستوى قراءته لنص القرآني هي أسباب النزول و ترتيب الآيات حسب تاريخ نزولها لا حسب ترتيبها في المصحف مع مراعاة نقطة هامة و هي تلك المتعلّقة بفاعليّة الناسخ و المنسوخ اعتبارا لأنها أقرب العلوم المساعدة له على تثبيت نظريته الإمبيريقية المتعلقة بالنص القرآني،المؤكدة على تخلّق النص ضمن المحيط التاريخي-المادي،لا في وجود مفارق متعالي.و ننطلق من مقولاته لأجل تأكيد فكرته:

qو من خلال علوم القرآن :أسباب النزول،والمكي و المدني،و الناسخ و المنسوخ،وغيرها من علوم القرآن،نكتشف أن القرآن نص لغوي نزل على مدى أكثر من عشرين عاما،نزلت الآية أو مجموعة من الآيات حسب الوقائع ،لكن القرآن مرتب بطريقة مخالفة لترتيب النزول ...لا بد من العودة إلى ترتيب النزول من أجل الكثير من الدراسات،وهو ما فعله علماء أصول الفقه،ولكي نتبين الحكم الفقهي في مسألة لا بد من العودة إلى ترتيب النزول لنعرف الناسخ من المنسوخ،أي الحكم الذي ألغى الحكم السابق عليه.[iii]

qمن القضايا التي تشغلني حتى الآن ترتيب القرآن ،فالترتيب الحالي ليس ترتيب النزول،والقدماء تساءلوا ما الحكمة في هذا الترتيب؟ أي لماذا لم يرتب القرآن بحسب النزول،وكان ذلك أسهل،وربما أجدى في نوع معين من الدراسات،مثلا الدراسات الفقهية .لماذا رتبت هذا الترتيب؟[iv]

انطلاقا مما سبق ذكره،نجد أن هناك هاجسا يحف بنصر حامد يدفعه إلى تجديد النظر في هذا العلوم،ولعل هذا الهاجس هو الواقع الإمبيريقي الذي ينطلق منه في تعامله مع النص فهو يريد من خلال هذه العلوم أن يثبت صحة مصادرته المنهجية حول هذه النقطة،و بما أن هذه العلوم تنتمي إلى الفكر القديم فلا بد من إحاطتها بالنقد و التسلح بروح جسورة حتى نخلصها من الإسار الميتافيزيقي المقدّسالذي يطوقها،اعتبارا لأن هذه العلوم قد وُظفت من قبل قصد إثبات الطابع المتعالي و الإعجازي للنص القرآني أي من داخل الحقل الإيماني الذي يريد عبر بحثه هذا خدمة النصّ المرجعي للمسلم،إذن لا بد من قلب وظيفيّة هذه العلوم حتى تغدو دالة على الطابع الواقعي للنص القرآني.بما أن الانطلاقة ستكون من التراث،فلا بد من إلقاء نظرة على هذا المخزون الحضاري،حتى تصبح إمكانية المقارنة متاحة لنا كذلك إمكانية الحكم، بمعنى محاولة القيام بدراسة من خارج الحقل الإيماني أي الاتّسام بنوع من الحياديّة العلميّة و الصرامة الموضوعيّة المفتقدة لدى القدامى حسب تصوّره.

٣. قراءة على قراءة : أسباب النزول عند القدامى تحت مجهر المعاصرين .

لننطلق بأكثر العلوم حساسية عند نصر حامد وهي أسباب النزول،من خلال الاسم ندرك أن هذا العلم يهتم بالوقائع و الأحداث التي أفرزت نزول الآية أو بعض الآيات،لنقل أن أسباب النزول هي بمثابة المقدمات أو الإرهاصات السابقة على

نزول الآية،لكن السؤال الذي "يزعج"الكثير من المفكرين المعاصرين هو :هل أنّ كل آية من آي القرآن ارتبطت بسبب من الأسباب أم أنّ هناك آيات نزلت ابتداء و آيات نزلت وفق أسباب ووقائع معينة ؟

للإجابة عن هذا السؤال ننطلق من هذا النص للشيخ محمد الطاهر بن عاشور:) أولع كثير من المفسرين بتطلب أسباب نزول آي القرآن،وهي حوادث يُروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها أو نحو ذلك،و أغربوا في ذلك و أكثروا حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل آية من القرآن نزلت على سبب...بيد أنا نجد في بعض آي القرآن إشارة إلى الأسباب التي دعت إلى نزولها و نجد لبعض الآي أسبابا ثبتت بالنقل دون احتمال أن يكون ذلك رأيَ الناقل،فكان أمر أسباب نزول القرآن دائرا بين القصد و الإسراف،وكان في غض النظر عنه و إرسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن.([v]تبعا لما ورد في النص ندرك أن قضية أسباب النزول قضية قديمة-جديدة،نظرا لاختلاف النوازع و الأغراض من وراء البحث في هذه القضية،ففي القديم قد أسرف بعض العلماء في البحث عن السبب الكامن وراء نزول كل الآيات،فكان هذا البحث الدؤوب موقعا البعض في بعض المزالق التي أدت بهم إلى اعتبار رأيه سببا من الأسباب إن أعجزته الروايات،بل إن البعض الآخر-نظرا لتمسكه بالنقل-قد اقتفى أثر الروايات صحيحها و ضعيفها لأجل التمكن من معرفة أسباب النزول،وهذا المذهب يجعل من عامة الناس تسير في نسق يوهم أن كل آيات النص القرآني لها سبب نزول، ممّا يوجب القول بعكس المراد الإلهي، فالنهج القويم يؤكّد أنّ النصّ القرآني ما هو إلاّ نسق أو صراط يراد من الإنسان-الخليفة أن يهتدي به في وجوده الخليفي، في حين أنّ البحث عن الأسباب الموجبة لنزول كلّ الآية يوقع في وهم أنّ النزول يكون مشروطا بسبب صاعد من الحقل الواقعي ليفضي إلى نزول ما يتوافق وحاجة الواقع، ولا يمكن بحال نزول آية ابتداء، وهذا يوقع في إشكال آخر هو واقعيّة النصّ و ارتباطه بالأسباب الاجتماعيّة التاريخيّة ممّا يعني بداهة الوقوع في حرج فكرة ختم النبوّة و إغلاق النصّ القرآني وحيويّة الواقع الإنساني.

٤.تجاذبات حافة بالنصّ القرآني

شيوع هذا الرأي له خطره المحدق بالقرآن،لأن القرآن إن أُلصق به هذا الرأي قد غدى مجموعة من الحلول لإشكاليات أو قضايا وقعت في زمن ومكان معينين،و الحال أن العلماء القدامى المشتغلين بعلوم القرآن قد قسموا القرآن إلى نوعين يقول جلال الدين السيوطي في هذا المجال) قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء،و قسم نزل عقب واقعة أو سؤال.[iv](و قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور$) لكني لا أعذر أساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فأثبتوها في كتبهم و لم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفا،حتى أوهموا كثير من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث تدعو إليها وبئس هذا الوهم فإن القرآن جاء هاديا إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح فلا يتوقف نزوله عل حدوث الحوادث

الداعية إلى تشريع الأحكام.[vii])

ندرك من خلال ما ورد صعدا أن الإشكال القائم متعلق بإثبات وجود النص القرآني،فالذي يعمد إلى تعميم أسباب النزول على كل الآيات سيفضي إلى تغليب الوقائع على الآيات،من ثم تصبح الآيات مجرد صدى للواقع و استجابة سلبية له،وهذا تمكين للبشري على التقدم على الإلهي،أو تغييب له،و الحال أن المنظومة القديمة تتشبث بألوهية المصدر و تأكيدا لذلك أثبتت أن النص القرآني ينقسم إلى قسمين:قسم نزل وفقا لأحداث و أسباب و قسم نزل ابتداء من عند الله وهذا القسم الثاني هو أكثر النوعين تواترا في القرآن.إنه سعي لحماية النص من التلاشي في حقل أسباب النزول،وحماية لقدسيته و ألوهيته وتعاليه،فالنص بهذا المفهوم مقدم على الواقع في أكثر الأحيان،و الواقع و إن أعطيت له أولوية دنيا فإن ذلك لا يعني إلزامية الاستجابة من عند الله،بل إنه في المنظومة السلفية نجد تأكيدا على شمولية العلم الإلهي و أسبقية علمه بالوقائع قبل وقوعها،فوقوعها كان تحت إرادته و سلطته قال تعالىp وَكُلُ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ[viii]i و قوله تعالى p وَعِنْدهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هَوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَ البَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعلَمُهَا وَ لاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَ لاَ يَابِسٍ إلاَّ فَي كِتَابٍ مُبِينٍ[ix]i

ندرك إذن أن الإطار المرجعي لمفكري السلف الذي يستندون إليه هو الغيب،الله،أي أسبقية هذا المقام على الأحداث و الوقائع الجزئية،لكن انطلاقا من مفهوم التطور و الحركة الذي يحكم الزمن فإن هذه النظرية قد اعتبرت في العصر الحديث من قبيل الفكر المفارق-المعطّل لحيويّة النصّ و واقعه الذي تجاوزته الأحداث بفكر أكثر نضجا و علمية، هذا النضج قد ساد الفكر منذ بدايات العصر التنويري الغربي،الذي تخطى عتبات الفكر الأسطوري-الغيبي الموسوم بالعقلانية التقليدية،باللامعقول،كان التخطي بمعية العقلانية العلمية-التجريبية التي سادت الفكر الحديث،حيث أعطيت السيادة للواقع،للإمبيريقي-الظاهري،أما ما تجاوز هذه الحدود فقد رمي في الخرافة والأسطورة و الرمزي،وهذا النمط من الفكر لم يبق حكرا على بعض الدراسات دون غيرها بل وقع تعميم المنهج على كل أنواع المعرفة سواء أكانت دينية أم فكرية فالكل سواء،نظرا لكونها في هذا الحقل ظاهرة قابلة للفحص والتريبض أو التكميم،من ثم وقع استبعاد كل العبارات المشحونة بمضامين قدسية-غيبية.

لم يشذ النص القرآني عن هذه القاعدة –كما رأينا- سواء في مجال التعامل المباشر معه أو مع العلوم الوسائل،فقد نُظر إليها نظرة واقعية من حيث هو نصّ ثقافي-تاريخي عسى أن تمكنهم من تنزيل القرآن من هذا التعالي.وفي ما نحن بصدده نجد أن باحثنا –انطلاقا من كونه ينطلق من نقطة نهاية السلف وهي الواقع ويعتبره بداية أصيلة لدراسته-يعتبر أن علم أسباب النزول دليل قاطع على واقعية النص،وهو منقذ له من التعالي المزعوم،وإرجاعه إلى حقيقته الأصيلة التي تلاشت بحكم سيادة الفكر

الغيبي،الذي طمس هذه الحقيقة البديهية.و لنا في أقواله ما يثبت لنا هذه النتيجة المُثْبَتة صعدا:

qبهذا المعنى يكون البدء في دراسة النص بالثقافة و الواقع بمثابة بدء بالحقائق الإمبيريقية،ومن تحليل هذه الحقائق يمكن أن نصل إلى فهم علمي لظاهرة النص.[x]

qلكن النص في تجاوبه مع الواقع و استجابته له من خلال المتلقي الأول.[xi]

qفلا شك أن وعيه قد تشكل بطريقة تثير أسئلة لا يُسْمح في مثل هذا المجتمع بالإفصاح عنها.لذلك يمكن أن نتلمس هذه الأسئلة في تجاوب الوحي في الآيات الأولى من النص .[xii]

q يعتبر علم "أسباب النزول" من أهم العلوم الدالة و الكاشفة عن علاقة النص بالواقع و جدله معه...فإن علم أسباب النزول يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييدا أو رفضا وتؤكد علاقة "الحوار و"الجدل" بين النص و الواقع. إن الحقائق الإمبيريقية المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجما على بضع و عشرين سنة،و تؤكد أيضا أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها،و أن الآيات التي نزلت ابتداء-أي دون علة خارجية –قليلة جدا [xiii]

من خلال هذه المقتطفات من النصوص،نجد أن نصر حامد ينطلق من نفس واقعي في تحليله لعلوم القرآن و تأويله لها حتى تصبح ناطقة بالواقعية التي يريدها،أي تمكين النص القرآن من معانقة مسقط ولادته من جديد بعد هجرته عنه في الفكر السلفي.

إن هذا الهجوم الفكري يرمي من وراءه إلى "إعادة الاعتبار "لمنهج الفكر الاعتزالي لأنه الوحيد الكفيل بإقرار مبدأ السببية و العلة في تشكيل النص ، لكن يمكن أن نتساءل هنا عن مدى مصداقية هذا المنهج الجدلي في تحقيق معادلة الجدلية المادية : الواقع ـالنص ،النص ـالواقع ؟ هل حقا وجد جدل بين النص والواقع أم هو مجرد تعسف منهجي من الباحث كي يقر ما يؤمن به ؟و هل وجدت استجابة من النص لمقتضيات الواقع ؟ إن الإجابة تكمن في الرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها في إثبات مقولاته الجاهزة ، فقد ورد في كتاب الإتقان للسيوطي ما يلي) قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء، و قسم نزل عقب واقعة أو سؤال [xiv](، إن هذا القول يؤكد على تقسيم القرآن إلى قسمين : قسم نزل ابتداء لمحض هداية البشر وهو أغلب سور القرآن و قسم نزل لمعاجلة وقائع و نوازل ، و لكن عند الاختلاف إلى كتاب نصر حامد ماذا نجد ؟ نجد أنه يقلب الحقائق فيقول) يعتبر علم أسباب النزول من أهم العلوم الدالة و الكاشفة عن علاقة النص بالواقع و جدله معه ...إن الحقائق الإمبيريقية المعطاة عن النص تؤكد ...أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها ، وأن الآيات التي نزلت ابتداء –أي دون علة خارجية – قليلة جدا ([xv]

٥.عيّنات تطبيقيّة: زيف الأطروحات الواقعيّة

بما أن نصر حامد ينطلق من التراث السلفي قصد تبيان صحة أطروحته المتعلقة بواقعية النص القرآني،وحسمه في مسألة أسباب النزول و تأكيده أن جل آي القرآن متعلق بها سبب نزول.لننظر في هذا الجدول الإحصائي ثم نخلص إلى النتائج:

اسم السورة	عدد آياتها	عدد الآيات التي لها سبب $$
qالبقرة	٢٨٦	٨٠
qآل عمران	٢٠٠	٤٦
qالنساء	١٧٦	٤٥
qالمائدة	١٢٠	٢٥
qالأنعام	١٦٥	١٧
qالأعراف	٢٠٦	١٧
qالأنفال	٧٥	١٠
qالتوبة	١٢٩	٢٧
qالمجموع	١٣٥٧	٢٦٩

رسم بياني: نسبة الآيات التي لها سبب نزول من دونها

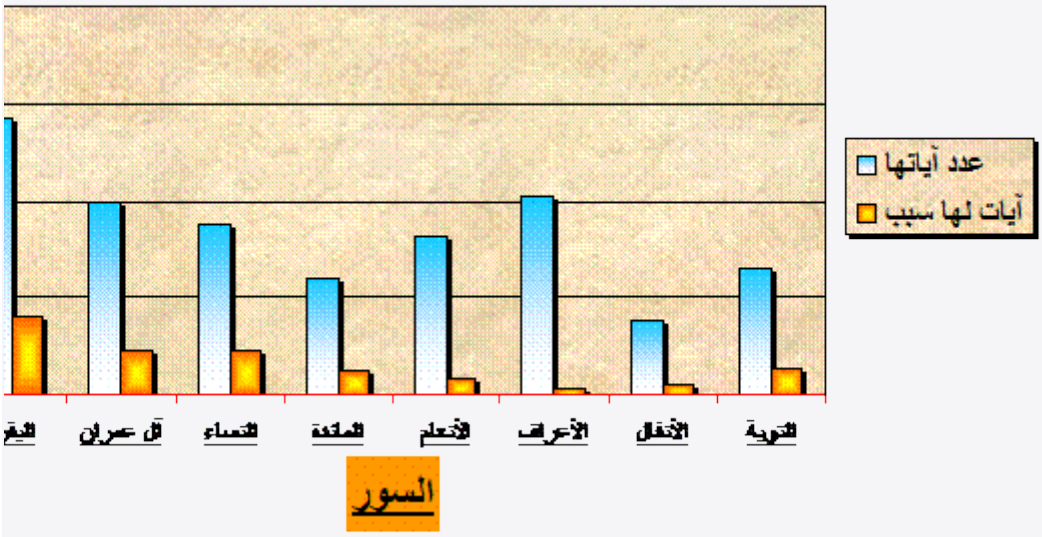

بعد هذه الإحصائيات لبعض سور القرآن ألا يتعلق الأمر بتلفيق منهجي واضح، بل هو خيانة للنص المركزي الذي هو بصدد تناوله نقديا، فيمكن أن نسأل نصر حامد: هل من الممكن أن تمدنا بأسباب نزول الآيات التي عجز الأقدمون عن إثباتها ؟ فإذا نظرنا في تراث المسلمين، كما أكّد محمّد عمارة في ردوده على نصر حامد أبو زيد، حول هذه النقطة –أسباب النزول-نجد أنه قد ثبت لديهم أن من مجموع آيات القرآن البالغ عددها ٦٢٣٦ لم يتجاوز عدد الآيات التي لها سبب نزول ٤٧٢ آية أي بنسبة ٧.٥ % من آيات القرآن، ولو سلمنا جدلا بصحة الروايات التي وردت في هذا المبحث ،و التي جمعها أصحابها دون تدقيق فإنها مع ذلك لا تتجاوز ٨٨٨ آية –أي بنسبة ١٤%) معنى ذلك أن الحقائق الإمبيريقية تؤكد على أن أكثر من ٩٠ % من آيات القرآن قد نزلت ابتداء و دون سبب نزول[xvi](. من هذا المنطلق تبطل مزاعم نصر حامد المنهجية حول تناول القرآن من وجهة نظر جدلية الواقع –النص، لأن الحقائق المتجسدة في كتاباته تؤكد تناقضه مع منطلقاته التي أثبتها في مقدمته ،بهذا يظهر لنا أن الفكر التبريري ، ذلك الفكر الذي يقدم النتيجة على التحليل، أبعد ما يكون عن الموضوعية العلمية التي ادعى هو السير على هداها.

٦. مأزق نصر حامد : العزو إلى الآخر ...الإشكال في النصّ و ليس في المنهج

إن هذا النهج الإمبيريقي الذي يسير على هديه نصر حامد ليس منهجا ابتدعه هو بل سبقه إليه كثيرون من قبله،نذكر أستاذه حسن حنفي،الذي يُعتبر نصر حامد امتدادا له في مجال تطبيق الآليات المنهجية والمضامين المعرفية،فهو يقول في معرض حديثه عن أسباب النزول)كل آيات الوحي نزلت في حوادث بعينها ،ولا توجد آيات أو سور لم تنزل بلا أسباب.و السبب هو الظرف أو الحادثة أو البيئة التي نزلت فيها الآية.و إذا كان لفظ النزول يعني الهبوط من أعلى إلى أسفل فلفظ

السبب إنما يعني الصعود من أسفل إلى أعلى.ولما كانت الآية لا تنزل إلا بعد وقوع السبب كان الأدنى شرط الأعلى.و إن كثرة الحديث الخطابي عن واقعية الإسلام إنما نشأ من هذا الموضوع وهو "أسباب النزول"،أسبقية الواقع على الفكر ،وأولوية الحادثة على الآية،المجتمع أولا و الوحي ثانيا،الناس أولا والقرآن ثانيا،الحياة أولا و الفكر ثانيا[xvii])

يحاول أبو زيد التخلص من هذا المأزق من خلال التشكيك في الروايات التي أوردها السابقون بدعوى أنها ذات منحى إيديولوجي،ذلك أنه ادعى أن القدماء قد أسبغوا على الرواة سمات من القداسة تجعل من المستحيل الطعن في عدالتهم، و الحال أن علماء الحديث قد وضعوا علما خاصا بالرواة للتثبت من عدالتهم وأهليتهم في الرواية وهو علم الجرح و التعديل و علوم أخرى اهتمت بتفاصيل أخرى تهم الرواة،بذلك يسقط ادعاء نصر حامد حول هذه النقطة،و النقطة الثانية التي يشكك فيها هي أن القدماء قد قصروا جهودهم على جانب واحد في مجال أسباب النزول وهو جانب الرواية،و لم يهتموا بتخريج السبب من ذات الآية انطلاقا من بنيتها الخاصة.) إن منهج القدماء في الترجيح بين الروايات من الصعب...أن يؤدي بنا إلى تحقيق سبب النزول على سبيل القطع.و تظل معرفة "أسباب النزول" مسالة اجتهادية.و على ذلك لابد أن يتمتع الباحث المعاصر بحق الاجتهاد والترجيح بين الروايات المختلفة بطرائق أكثر أهمية،و ذلك استنادا إلى مجمل العناصر و الدوال الخارجية و الداخلية المكونة للنص...و من ثم يمكن اكتشاف "أسباب النزول" من داخل النص،كما يمكن اكتشاف دلالة النص بمعرفة سياقه الخارجي.([xviii] و يقول أيضا) لقد كان منهج القدماء إما إغفال الداخل تماما بالترجيح بين الروايات فقط،أو إغفال الخارج تماما بالاعتماد على تحليل شكلي للغة النص([xix]

لكن الناظر في كتابات نصر حامد يجده يجهد نفسه في هذا المجال قصد الإطاحة بهذا النسق السلفي والوصول إلى تحقيق رأيه و منهجه و هو جدلية النص و الواقع،نظرا لأن السلف اعتبروا أن جزء صغيرا فقط هو الذي له سبب نزول و الباقي نزل ابتداء لمحض هداية البشر،لكن لا يسلّم هو بهذا الرأي من خلال التشكيك في مبدأ تعدد النصوص لواقعة واحدة،فهو يرى أن كل آية لها سبب،لكن هذا التنظير لم يعقبه تطبيق واضح يبين لنا بالتجريب و الحجة هذا المنهج الجديد،بذلك يجدر بنا القول أن نصر حامد يهدم البناء السابق لكن دون تعويض،إنه محض هدم يندرج ضمن المعركة الإيديولوجية،كما يجوز القول أن خطاب السلف هو أقوى دلالة من خطاب نصر حامد نظرا لأنه أسس علوما و ابتكر مصطلحات ومناهج خدمة للنص القرآني،أما نصر حامد فإنه اكتفى بمجرد التشكيك والهدم في حقل السلف بطريقة إيديولوجية تتنافى و النسق العلمي الموضوعي الذي يدعيه.

ثم إن هذا النهج الإمبيريقي قد استند،في إضفاء صفة المصداقية على أطروحته،على مفهوم التنجيم،أي نزول القرآن منجما أو مفرقا على فترة تزيد عن عشرين سنة$$$،على اختلاف بين العلماء، فنصر حامد رأى في هذا التنجيم دليلا آخر

على جدلية النص و الواقع،و أن النص يواكب متغيرات المتلقي و المخاطبين،وهو استجابة ضرورية لواقع ثقافي فرض نفسه هو "الشفاهية") إن النص هنا يستجيب لواقع ثقافي له شروطه الموضوعية الخاصة و أهمها"الشفاهية".([xx] لكن نصر حامد رأى أن فكرة التنجيم في الفكر السلفي تفقد معناها اعتبارا لأن الفعل الإلهي القائم في الزمان و المكان لا يخرج عن قدرته و إرادته،و الحال أن هذه الفكرة لا تستوي إلا إذا تحرر الزمان و المكان-الواقع-من السلطة الإلهية المطلقة،بهذا نكتشف دليلا آخر على سعي نصر حامد للتحرر من سلطة الدين و إعطاء الأولوية للإنسان دون غيره في الواقع،وهذا المعنى نستنتجه من قول نصر حامد) إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن من منظور ديني هو: لماذا كان التنجيم مراعاة للوقائع والأسباب،و الله سبحانه و تعالى عالم بالوقائع كلها جملتها و تفاصيلها قبل أن تقع ؟ و لا شك أن مثل هذا السؤال يتجاهل حقيقة أن الفعل الإلهي في العالم فعل في الزمان و المكان،أي فعل من خلال قوانين العالم ذاته،سواء كان عالما طبيعيا أم عالما اجتماعيا.و إذا كانت هذه القوانين ذاتها من منظور ديني من صنع الله،فإن السؤال يفقد مبرر طرحه.([xxi] من ثم يرى نصر حامد أن هذا السؤال يفقد مصداقيته ضمن المنظومة السلفية نظرا لأن الأولوية معطاة دائمة إلى الله،إلى المرسل،إلى الغيب،إلى التعالي،و الحال أن التنجيم لا يصح إلا إذا أكدنا في ثقافتنا الإسلامية على جدلية النص والواقع،لكن بقي هذا التصور خافت الصوت،مُصَادَرا من قِبَل الثقافة الرسمية) إن هذا الفهم من جانب علماء القرآن ظل للأسف فهما جزئيا،ومن ثم لم يتح له أن يظل حيا على المستوى الحقيقي في ثقافتنا،و إن ظل له على المستوى النظري نوع من الاعتراف،و لكنه اعتراف يتبدد في إعطاء الأولوية في التفسير للقائل على الواقع.([xxii]

لكن بعد ذلك نجد داعية الوعي العلمي بالتراث و صاحب الفهم الموضوعي للنص القرآني-نصر حامد- لا يجد تبريرا لمثل هذا النزوع نحو إعطاء الأولوية لله على حساب الواقع سوى سيادة القوى الرجعية على المجتمع و احتفاظها بحق التفسير الرسمي للمسائل المصيرية،إنه تعسف من نصر حامد على هؤلاء،ويعود ذلك لسبب بسيط وهو معاداته لهم في النسق الفكري فهؤلاء أشاعرة وهو معتزلي معاصر له نزعة واقعية مادية،لذلك عمد إلى تسفيه مقولاتهم و العمل على تجريم أنساقهم المعرفية في كل ما يحف بالنص القرآني،و اعتبر أن مثل هذه الأفكار لا يمكنها أن تستقيم إلا إذا صححت توجهها من خلال قلب القاعدة و جعل الواقع هو المنطلق،هذه القراءة العلمية-الموضوعية للنص القرآني،أما ما عاداها فهي قراءة إيديولوجية-ميتة للنص القرآن! إن نصر حامد لم تسعفه الأدلة العلمية-الموضوعية لتثبيت منهجيته فعرج على الأدلة الإيديولوجية-التهجمية قصد اتهام الغير و تبرئة الأنا ،) و إذا كانت أسباب هذا الفصل بين النص و الواقع في تراثنا الديني أسبابا يمكن تلمسها في سيطرة الاتجاهات الرجعية على مجمل التراث و مساندتها للقوى المسيطرة على الواقع الاجتماعي و السياسي،فإن هذا الفصل في ثقافتنا المعاصرة، و في الخطاب الديني الرسمي...يرتد إلى أسباب مشابهة...إذ بالإضافة إلى سيطرة قوى التخلف على الواقع و

مساندة الخطاب الديني لهذه القوى،يستند الفصل بين النص و الواقع إلى الاتجاهات الفكرية التي سيطرت على التراث معطيا لأيديولوجيته مشروعية تاريخية ،ومضيفا عليها قداسة تحرم الآخرين من حق مناقشتها و مواجهتها.([xxiii] فنصر حامد لا يدرك أن اختلاف المنطلقات تفضي إلى اختلاف في النتائج.

٧. علوم القرآن : حقل صراع لامتلاك الرأسمال الرمزي

إذن لقد جعل نصر حامد من ميدان علوم القرآن ميدانا للصراع الإيديولوجي من أجل كسب معركة الحقيقة في ما يخص النص القرآني،أي يمكنني القول أنه استرجاع للصراع بين الأشاعرة و المعتزلة في قضية القرآن هل هو قديم أم مخلوق؟ و هذا الاسترجاع في مستوى أسباب النزول له أسبابه،فهو يرى أن الأشاعرة حينما تتجه نحو تأكيد قدم القرآن فإنها بذلك تهدر حقيقة الواقع وجدليته مع النص،وتعمد إلى تثبيت الحقيقة،وهذا الرأي لا يتماشى و نظريته المادية،لذلك رأى من الضروري نقض هذا الرأي باعتماد الرأي المقصى،في الثقافة السلفية،وهو رأي المعتزلة القائلة بالحدوث،وقد رأى أن النهج السلفي في اعتماده الروايات دون تثبت منها قد أسقط وجاهة رأيه و صحته،بحيث ذهب إلى القول أن الروايات المُصورة لنزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ومنها إلى الأرض،لا أساس لها من الصحة،وعلة ذلك الافتقار إلى آلية النقد المنهجي للروايات!) و ليست هذه الافتراضات و التمحلات كلها إلا لتجنب اتخاذ موقف نقدي من الروايات القديمة،كما سبقت الإشارة.والحقيقة أنه لم يكن ثمة نزول مجمل للنص من مكان إلى آخر وراء عالم الأرض،عالم الوقائع و الجزئيات.([xxiv])

إن هذا التشكيك في صحة الروايات و اتهام السلف بفقدان النهج النقدي،هو دليل على أصولية نصر حامد،فعجز نصر حامد على البحث في الواقعة،و إخضاعها للمنهج التاريخي-المادي و التعامل معها بنفس المنهج الذي يتعامل به مع سائر الوقائع و الأحداث،فهذه الواقعة هي واقعة مفارقة لا يستطيع المنهج التاريخي أن يتأكد من صحتها نظرا للاختلاف القائم بين الواقعة و المنهج،إن عجز نصر حامد لا يعدو أن يكون عجزا علميا،أي عجزا في قدراته و آليات البحث المُتَوَسل بها،كذلك يعود عجزه إلى وجود هدف خفي يقوده وهو الواقعية،لذلك كان الهدف الذي يسعى إليه هو الانتصار للنزعة الاعتزالية،فكان أن اتجه صوب التشكيك في الروايات و الحال أن علماء الحديث قد قاموا بعمل إبستيمولوجي ضخم من خلال مراجعة المدونة الحديثية ووضع قواعد و أصول لقبول الروايات،وما تفريقهم بين الأحاديث: الصحيح والحسن و الضعيف،إلا دليل على هذا الوعي،كذلك العلوم المستحدثة لمعالجة قضايا الوضع و التزييف في الروايات،إلا تعبير واضح عن الجهد المبذول لتنقية السنة والسيرة النبوية من كل الشبهات التي يمكن أن تطالها،فمنهج نصر حامد هذا في التعامل مع الأحاديث يشبه تعامل المستشرقين معها$$$،إنها إرادة منه للانتصار لموقفه الاعتزالي-المادي،من ثم تسقط دعوة الفهم العلمي للنص.

من دلالات أسباب النزول نجد العموم و الخصوص،أي عموم اللفظ و خصوص السبب وهذه قضية استغلها نصر

حامد و وظفها في مجال جهده المتواصل لإثبات واقعية النص،من خلال التأكيد على تنسيب الدلالة القرآنية،أي ربطها ربطا مباشرا بالواقع التاريخي و الاجتماعي للعربي المواكب لنزول الآيات،وهذا التمشي المنهجي يُعد تجاوزا للمنهج التقليدي في التفسير القائم على قاعدة أساسية وهي: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب$$$$$. في هذا يستثمر نصر حامد مجموعة من الآيات القرآنية الدالة على وقائع يمكن أن تتجاوزها الأحداث التاريخية نظرا لارتباطها بالواقع الثقافي السائد في تلك الفترة-زمن نزول الوحي- و في هذا ينقد نصر حامد الخطاب الديني المعاصر المتمسك بحرفية تلك المعاني بحيث لم يحاول تأويلها بصورة تستجيب للواقع الثقافي السائد الآن-الواقع المعاصر-إنه تمسك في نظره بالنموذج الأول-نموذج الماضي-و الحال أن النموذج يكون في المستقبل،و العموم و الخصوص عند نصر حامد لهما دلالات تختلف بعض الشيء عن المفهوم السائد.

qالخاص هو ذلك الجانب الدلالي المشير إشارة مباشرة إلى الواقع الثقافي التاريخي لإنتاج النص

qالعام هو الجانب الحي المستمر القابل للتجدد مع كل قراءة.[xxv]

لننظر إلى هذا النص المتعلق بجانب أساسي من العقيدة الإسلامية،الذي يخص عالم الغيب ،وما فيه من أشياء لا يمكن أن يتصورها العقل البشري-بحسب رأيه-بمعنى أنها تصورات قد عف عنها الزمن،وزالت بزوال أسباب الاعتقاد فيها) تتحدث كثير من الآيات عن الله بوصفه مَلِكًا...له عرش وكرسي وجنود،و تتحدث عن القلم و اللوح.و في كثير من المرويات التي تنسب إلى...الحديث النبوي تفاصيل دقيقة عن القلم و اللوح و الكرسي والعرش،وكلها تساهم... في تشكيل صورة أسطورية عن علم ما وراء عالمنا المادي المشاهد المحسوس...و لعل المعاصرين لمرحلة تكون النصوص...كانوا يفهمون هذه النصوص فهما حرفيا،ولعل الصور التي تطرحها النصوص كانت تنطلق من التطورات الثقافية للجماعة في تلك المرحلة.و من الطبيعي أن يكون الأمر كذلك،لكن من غير الطبيعي أن يصر الخطاب المعاصر في بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الديني عند العصر الأول رغم تجاوز الواقع و الثقافة في حركتها لتلك التصورات ذات الطابع الأسطوري.([xxvi]

من هذا المنطلق نلاحظ أن نصر حامد يضرب جانبا أساسيا من المنظومة العقدية للتيار السلفي-السني و يعتبر أن بنية الاعتقاد مرتبطة بسيرورة الواقع و الثقافة،فلا وجود لمنظومة خالدة أو مخترقة للزمن،نظرا لأن الزمن الحديث هو زمن العقل و التجريب،فلا يمكن أن يتعايش معه نهج ينتمي للزمن الماضي زمن الأسطورة،فهذا كان شائعا في زمن خاص و محدد بواقع و ثقافة، وجاء ملبيا لحاجات تلك الظرفية التاريخية،ومع انتفاءها نستبدل هذه البنية بعقيدة جديدة تتواءم و الواقع الجديد،بذلك يكون نصر حامد-كما سنرى في الباب الثاني-قد شرّع لدهرية،لواقع التيه و الضياع نظرا لعدم وجود ضوابط وثوابت يرتكز عليها الإنسان،هذا نموذج من تنسيب الدلالة،ومازالت النماذج كثيرة في مصنفاته،من ذلك تحدثه عن) بعض الدلالات الجزئية –خاصة في مجال الأحكام و التشريع-([xxvii] التي أسقطها الواقع الاجتماعي-التاريخي،فتحدث عن العبودية

بوصفها ظاهرة ثقافية-تاريخية،وتبعا لاختفائها اختفت أحكامها)لكن من المؤكد أن هذه الأحكام الكثيرة قد أسقطها التطور التاريخي و ألغاها حين سقطت العبودية نظاما اجتماعيا اقتصاديا في جب الماضي التاريخي.و ليس من الممكن و الحال كذلك التمسك بأي من الدلالات السابقة،بل و ليس من المجدي أيضا التمسك بمغزى،الموقف الإسلامي...من قضية العبودية،إلا على سبيل الاستشهاد التاريخي.[xxviii])

٨. تنسيب الدلالات ...تحديث للنصّ أم تجاوز له ؟

من الدلالات الخاصة التي يؤكد نصر حامد على تجاوزها للواقع التاريخي مبدأ التفريق بين المسلمين وأهل الكتاب و ما يترتب عن ذلك من دفع الجزية مقابل الحماية،فهذه الدلالة قد وقع تعويضها بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان و المواطن المكرس لمبدأ المساواة و العدالة و الحرية،إنه بذلك يؤكد على مبدأ المواطنة،وهذا الاجتهاد من نصر حامد،و إن كان صحيحا،فإنه حق أريد به باطل،نظرا لأنه يوظفه لتجاوز النظرية القرآنية اعتبارا لارتباطها بواقع ثقافي-تاريخي) إن التمسك بالدلالة الحرفية للنصوص في هذا المجال لا يتعارض مع مصلحة الجماعة فحسب،ولكنه يضر الكيان الوطني والقومي ضررا بالغا.و أي ضرر أشد من جذب المجتمع إلى الوراء،إلى مرحلة تجاوزتها البشرية في نضالها الطويل من أجل عالم أفضل مبني على المساواة و العدل و الحرية .([xxix] إنه تعبير منه على أن المنظومة القرآنية ،في بعض دلالاتها،تجذب المجتمع إلى الوراء،إلى التخلف،إنه توظيف إيديولوجي منه لهذه الدلالات ذات الارتباط بواقع تاريخي-ثقافي للتأكيد على فكرة التطور التاريخي للمجتمع الإنساني،هذا التطور الذي تؤكده الوقائع التاريخية،لذلك فنصر حامد يسعى من خلال هذا التنسيب إلى تأسيس مجتمع عقلاني يستند في كل أطره على فلسفة حقوق الإنسان،هذه الفلسفة التي قامت مع الثورة الفرنسية على أنقاض النظرية الدينية للإنسان،هذه النظرية التي لها نظرة دونية للفئات التي لا تنتمي إلى الحقل العقائدي السائد،لكن هذا التوظيف من قبل نصر حامد و تأكيده على مبدأ المواطنة،الذي يعوض التصور الديني لمراتب البشر،يتناسى في غمرة الاحتفاء بهذا المبدأ أن هذه المنظومة لحقوق الإنسان والمواطن قد قامت لحماية مصالح البرجوازية،أي أنها في الأخير حقوق فئوية،بهذا المعنى سيسقط نصر حامد في نفس المأزق الذي اتهم به النسق القرآني وهو النظرة الدونية.

إن نصر حامد من وراء كل هذه المداورات الفكرية و الإيديولوجية يريد الانخراط في المنظومة الحديثة القائلة بسيادة العقل الإنساني و بالتطورية،إنها إرادة منه لتجديد النظر في كل شيء،من خلال تأسيس قراءة جديدة تعتمد أحرفا علمية و تقنيات حديثة،أي بصورة أوضح التخلي عن الحكايات والتأويلات والشروح الماضية،و استعمال العقل النقدي لأجل التخلي عن السلطة التي صدر عنها النص،و الانطلاق من أنتروبولوجيا جديدة تبحث عن أسس جديدة للواقع بدل النظرة الدينية،من هنا نفهم أن نصر حامد قد طرح من منظومته التجديدية ذلك التصور المتعالي-المفارق و بحث في ما هو

موجود،تماشيا و التطورات الفكرية التي طرأت:عصر النهضة،الإصلاح الديني،نتائج العلوم الجديدة،الأبحاث اللسانية الجديدة،الفلسفات الواقعية،بهذا نصل إلى نقطة هامة عند نصر حامد وهي تحول التصور في الدين و من وراءه النص القرآني،من تصور مفارق-القرون الوسطى- إلى تصور أنتروبولوجي،بذلك أصبح البحث عن الجذور الأنتروبولوجية التاريخية للنص القرآني،وذلك لأجل الخلوص إلى تطورية الواقع،من خلال تجاوز الذهنية القروسطية المؤسسة أساسا على الخرافات والخيال و السحر و الحسد و الشياطين والجن: الكائنات الخرافية-الأسطورية،و لنا في نصوص نصر حامد أكبر دليل:

q السحر و الحسد و الجن و الشياطين مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعي الإنساني،وقد حوّل النص الشياطين إلى قوى معوقة وجعل السحر أحد أدواتها لاستلاب الإنسان.[xxx]

q و ما ينطبق على السحر ينطبق على ظاهرة "الحسد"و ما يلابسها من ممارسات و طقوس كالرقي والتعاويذ،ومعتقدات كالإيمان بقوة العين و سحر اللغة.[xxxi]

بتنسيب الدلالة لبعض المفاهيم الواردة في النص،يريد نصر حامد نسف المنظومة السلفية من خلال جعلها تنتمي إلى الماضي،أي أن آلياتها الفكرية لا تستحق أن تسود نظرا لأنها تجذب الفكر والمجتمع إلى الوراء إلى لغة قديمة تؤمن بالسحر و الخرافة،و الاستعمال القياس الفقهي القديم في مسائل حديثة كأرباح البنوك والاقتصاد الرأسمالي،فهو قد جعل من هذه الظاهرة الاقتصادية ظاهرة تاريخية لا يمكن أن تستجيب لتطورات العصر الحديث عصر الربح،إن نصر حامد لا يمكنه أن يدرك غايات تحريم الربا و مقاصده نظرا لأنه متمسك بمنطق الواقعية،منطق الواقع الذي يصنع النص ويقبل منه ما يريد ويطمس منه ما يشاء تبعا لمنطق مشاريعه،لذلك وجب تجديد إهاب المصطلحات و أحكام المعاملات حتى لا تبقى معاملاتنا محصورة في دائرة الحلال و الحرام،هذه الدلالات قد أضحت من قبيل التراث أي يشهد على تاريخ مضى لا يصلح أن يستعيد سيادته في الواقع الآن نظرا لغربته وفقدانه للشرعية الثقافية التي تخول له حق القول و الحكم،و بذلك يتهم نصر حامد بتعميم ما هو خاص بواقع تاريخي) و الأمثلة كثيرة على إصرار الخطاب الديني على استخدام اللغة القديمة و إحياءها طردا للغة الحية المعبرة عن الواقع،و ذلك لتغييب الواقع لحساب حياة الماضي.([xxxii]

بذلك تصبح لغة النص لغة تنتمي إلى الماضي،و الواجب تجديدها من خلال إبعاد كل المعاني التي لا تستجيب لمنطق العصر،من ثم يصبح الإنسان على هواه في فهمه للنص،فيزيل ما يشاء ويُثَبِت ما يشاء بدعوى حكم العصر و الواقع،فصر حامد بتصرفه هذا من منطق خوص السبب،يجعل كل ما هو متصل بالغيب من قبيل خصوصية الواقع الثقافي السائد في الماضي، أما مع ولادة العقل العلمي فلا وجود لمثل هذه الخرافات و الأساطير و الغيبيات،بهذا يجوز لنا القول أن نصر حامد ينسف المنظومة الدينية-الغيبية السائدة الآن لأنها تحيل إلى المفارق فالصلاة و الحج و غيرهما من العبادات لا مكان لها في واقع

حديث يؤمن بالإحداثيّات الإمبيريقية،فهي قد لبّت حاجيات الواقع التاريخي أما الآن فنحن في غنى عنها بهذه الصفة،لأن العقل قد أخذ مكان الإله في هذا العالم الواقعي.

٩. النهج الذرائعي :تلوّن النص و ضياع الهوية

كل هذه التصورات لا تجدي نفعا نظرا لأن الواقع يتحكم في النص و يصنعه لا العكس،إن هذه التصورات يطرحها نصر حامد بوصفها بدائل عن الدلالات التي تضمنتها كتب الأقدمين من المفسرين والفقهاء و المتكلمين،إنه تصور سيميوطيقي-ثقافي يفترض أن الثقافة هي التي تقوم بدور الحكم في قبول النصوص و رفضها،انطلاقا من حاجيات الواقع،) و على ذلك ترتبط سيطرة نصوص من نوع مجزأ أو متصل بمرحلة معينة من مراحل تطور الثقافة.[xxxiii](إنه نزوع نحو استشراف المستقبل الأرضي في تضاد جليّ مع المنظومة الأرثودكسيّة-السلفيّة عبر الإصرار على رفض التمسك بمعايير الماضي ورفض كل إمكان لتقييم القيم السالفة أو استبدالها،بذلك تفقد الأخلاق صفتها في الواقع الحديث نظرا لأنها تنتمي إلى الماضي و قد لبّت رغبات الإنسان الفائت أما الآن فلا بد من إنتاج نمط أخلاقي جديد يتسق و المرجعية الثقافية السائدة،اعتبارا لأن البنى الفوقية يطالها التحوير و التغيير مع كل طارئ يطرأ على البنى التحتية-الواقع-فالسعادة الأخروية –الخالدة-التي هي تتويج للممارسة الأخلاقية العملية لم يعد لها نصيب من الصحة نظرا لأن الأسس التي سوغت وجودها قد زالت،لذلك يغدو وجودها مصادرة عن المطلوب نظرا للتناقض البيّن بين البنى التحتية ذات المنزع العقلي-المادي و البنية الفوقية ذات المنزع الروحاني المثالي،لذلك يسوغ القول أن نصر حامد يشرع لدين مدني يستجيب لمتطلبات العصر والتخلي عن النمط القروسطي للدين المُنْشد إلى الميتافيزيقا.

هذا هو التخصيص إنه استبدال معاني النص القرآني بحسب مجريات الأمور،فإذا كان الواقع يتطلب نمطا غيبيا،كان إحضار النصوص ذات منزع متعالي،وإن كان الواقع يفرض نسقا ماديا محايثا كان استبدال المنظومة التقليدية بأخرى مواكبة،إنها سلطة الثقافة و الواقع في قبول النصوص ورفضها) وفي منهج تحليل النصوص تنبع مصداقية النص من دوره في الثقافة،فما ترفضه الثقافة و تنفيه لا يقع في دائرة النصوص،وما تتلقاه الثقافة بوصفه نصا دالا فهو كذلك.و قد يختلف اتجاه الثقافة في اختيار النصوص من مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية أخرى،فتنفي ما سبق لها أن تقبلته،أو تتقبل ما لها أن نفته من النصوص...وإذا كنا نعتد المعيار الثقافي في تحديد مصداقية النص،فمن قبيل تحصيل الحاصل القول بأن مصداقية هذا النص – القرآن-لا تنبع من كثرة عدد المؤمنين به. [xxxiv])

هذا المنحى لا نجده عند نصر حامد فقط بل نجده عند غيره من أصحاب المنهج الاجتماعي-التاريخي ،من ذلك أستاذه حسن حنفي الذي يفهم التوحيد من زاوية الخصوص و العموم فيقول) مازالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى

لفظ"الله" و كلما أمعنت في البحث ازدادت الآراء تشعبا و تضاربا،فكل عصر يضع من روحه في اللفظ،ويعطي من بنائه للمعنى،تتغير المعان و الأبنية بتغير العصور و المجتمعات.فالله عند الجائع هو الرغيف،وعند المستعبد الحرية،وعند المظلوم هو العدل و عند المحروم عاطفيا هو الحب،و عند المكبوت هو الإشباع،أي أنه في معظم الحالات "صرخة المضطهدين" و الله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم ،وفي مجتمع آخر يخرج من التخلف هو التقدم.فإذا كان الله هو أعز ما لدينا و أغلى ما لدينا فهو الأرض،والتحرر،و التنمية ،و العدل،و إذا كان الله هو ما يقيم أودنا و أساس وجودنا و يحفظنا فهو الخبز،والرزق،و القوت،و الإرادة،و الحرية.و إذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر،وما نستعيذ به من الشر،فهو القوة،و العتاد،و الاستعداد.كل إنسان و كل جماعة تسقط من احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ "الله" على مختلف العصور.([vxxx]ذلك هو مفهوم التوحيد عنده إنه مفهوم ثقافي يتبدل و يتغير بحسب الزمن الثقافي السائد،فلا وجود لثابت بل الكل في حركة مستمرة :الواقع ،الإنسان ،الفكر ،العقيدة،الثقافة،وكل ثقافة لا تنزع إلى استشراف المستقبل،والتي تنظر إليه على أنه الزمن وقد توقف،أي أنه"الآن"وقد امتد هي ثقافة تتصل مباشرة بالماضي،بذلك يكون استمرار النص في الزمن الحاضر و الآتي مرهونا باستجابته لشروط الثقافة) و النصوص التي تعد أعظم قيمة هي تلك التي تتمتع بالحد الأقصى من الاستمرارية من وجهة نظر الثقافة المعينة،وفق المستوى المعترف به،وهي النصوص التي تجتاز الزمن.([xxxvi]

١٠. الواقع ناسخا ...و جمل النص منسوخة...:فاعليّة العقل المنعكس

إذن يتسنى لنا القول إن نصر حامد قد استغل أسباب النزول لتأكيد تبعية النصوص للواقع والتصاقها بالمحيط الثقافي الذي هيأ نشوءها،و نفس الشأن يعتمده نصر حامد مع علم آخر وهو الناسخ والمنسوخ) وإذا كانت علاقة النصوص بالواقع جزءا أصيلا من مفهوم النص،فإن قضية الناسخ والمنسوخ...تضع الخطوط و اللمسات الأخيرة في تأكيد هذا الارتباط الضروري بين النص و الواقع،ومن ثم بين الإسلام و حركة المجتمع.([xxxvii] من الضروري الإشارة بداية إلى ذلك الربط بين مبدأ الحركة و الإسلام،أي أن الإسلام مشروط بحركة المجتمع،هذا الرأي لا ننكره اعتبارا لأن الإسلام لا يشكل حاجزا أمام حركة المجتمع بل هو حافز إلى نشدان الأفق،لكن مصطلح الحركة الوارد عند نصر حامد لا يعبر عن هذا المعنى،بل يؤكد على مبدأ الجدل و التغير الذي يطال المجتمع من حيث قيمه و أصوله و هذا يفرض على نص الإسلام التغير بحسب معايير الثقافة ،نظرا لأن الواقع هو الذي يصنع النص وفق المعايير المتواضع عليها اجتماعيا.هذه المعايير قد تبطل قيما وتؤصل قيما،لكن قد تحتاج الثقافة إلى نسخ هذه القيم و استبدالها بقيم كانت قد استبعدتها في ما مضى،فتعمل على استرجاعها،انطلاقا من هذا المبدأ سيدرس نصر حامد علم الناسخ و المنسوخ.

النسخ يأتي في معنى الإزالة كما في قوله تعالىp فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَيْطَانُ i[xxxviii] و كذلك في معنى التبديل

ومنه قوله تعالى p وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَة مَكَانَ آيَةٍ i[xxxix] و المتفق عليه عند جمهور علماء القرآن والأصول و الفقه أن النسخ هو مما خص به هذه الأمة دون سواها و الغاية من ذلك هي التيسير في التشريع تمكينا للفرد من تغيير النمط الذي تعود عليه،و إمكانية لقبول المجتمع لذلك التغيير الذي سيطرأ على نمط القيم اعتبارا لأن المجتمع يمارس إستراتيجية الرفض ضد كل جديد،فهو قد أَلِف بالقديم و تعود عليه لذلك يجد صعوبة ي طرح ذلك التراث كله جملة و استبداله دفعة واحدة،فكان النسخ وسيلة مجدية للتعويض التدريجي،الذي لا يمكن أن يترك مخلفات سلبية لا على الفرد و لا على المجتمع،فهو قد ساير الفطرة الإنسانية التي تتخوف من الجديد ،من المستقبل نظرا لأنه مجهول في نظرها،أما إن وجدت من يرشدها،ويعينها على التغيير الواعي-المدروس فإنها لا تمانع في ذلك،بهذا يكون النسخ ظاهرة تطال كل الأشياء،الحياة،المجتمع،الكتب،المؤلفات،الرسالات السماوية،القوانين،الأحكام،) و لنا في النبوة و الفلسفة مصداق على ذلك،و هما أبرز نموذجين وأوضح مثالين...أما خطابات الأنبياء و الرسل،فهي في حقيقتها تقوم على النسخ والتبديل،و إن كان الواحد يكمل الآخر أو يختمه،ذلك أن خطاب النبوة يقدم نفسه بديلا مما سبقه من الخطابات المماثلة له،فيحل محلها بوصفه الأصل الوحيد الذي ينبغي اعتماده في معرفة كلام الله.[xl] (

فالنسخ في خطاب السلف هو رفع حكم شرعي بحكم شرعي آخر مع اشتراكهما في العلة،مع عدم إمكانية الترجيح بينهما،فالناسخ هو اللاحق و المنسوخ هو السابق،مع التراخي في الزمن فيستحيل نزولهما معا،و النسخ عند السلف لا يطال كل ماهو منزل من عند الله،بل إنه يتعلق بجزء منه وهو ذلك الذي يحكم الواقع البشري،أما ما تعلق بالعقيدة) كوجوب الإيمان بالله،و وجوب بر الوالدين،و الصدق في الحديث،و كحرمة الكفر،و أذى الوالدين و الكذب.([xli] فالذي يطاله النسخ هو ما يختلف باختلاف الأزمنة والواقع،أي يصلح لزمن دون آخر،إذن فالنسخ متعلق بأحكام التكليف التي تتخذ صبغة التدرج حتى تصل إلى الحكم الذي يتسق مع الفطرة الإنسانية و التغيرات التي تطال الزمن،و معرفة الناسخ من المنسوخ مقترنة بمعرفة أسباب النزول وترتيب الآي وفق نزولها لا وفق ترتيبها في المصحف.و هذا ما فعله القدماء من خلال ضبط الآيات التي طالها النسخ وقد عدها السيوطي في كتابه فوجدها إحدى و عشرين آية$ $$$$$.

لكن في الفكر الحديث أثيرت قضية النسخ من جديد نظرا لأنهم لم يطمئنوا إلى النتائج التي توصل إليها القدماء،بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما اعتبروا أن القدماء قد تلاعبوا بهذا العلم قصد الوصول إلى غايات يريدونها و قضاء مصالح و مآرب شخصية، هذا الاتهام يفضي إلى نزع العدالة و النزاهة عن العلماء القدامى،)فإن المشرعين من البشر(الفقهاء)قد سمحوا لأنفسهم بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل "علم المواريث" يتناسب مع الإكراهات و القيود الاجتماعية-الاقتصادية الخاصة بالمجتمعات التي اشتغل فيها الفقهاء الأوائل...بكل مصالح هذه الفئات و عاداتها و تقاليدها.و الأداة التي استخدموها

لإبطال الآيات ...من سورة البقرة تتمثل بمبدأ الناسخ و المنسوخ.([xlii] ونجد نصر حامد يورد إشكاليتين حول النسخ فيقول) لكن ظاهرة النسخ تثير في وجه الفكر الديني السائد إشكاليتين يتحاشى مناقشتها.الإشكالية الأولى:كيف يمكن التوفيق بين هذه الظاهرة بما يترتب عليها من تعديل للنص بالنسخ و الإلغاء و بين الإيمان الذي شاع واستقر بوجود أزلي للنص في اللوح المحفوظ ؟ والإشكالية الثانية التي تثيرها ظاهرة "النسخ" هي إشكالية "جمع القرآن" ...و الذي يربط بين النسخ و مشكلة الجمع ما يورده علماء القرآن من أمثلة قد توهم بأن بعض أجزاء النص قد نسيت من الذاكرة الإنسانية)[xliii].

إن النسخ عند نصر حامد،من حيث مفهومه،ينحصر في معنى الإنساء لا معنى الإزالة،وإن هذا الاختيار للمفهوم له تبعاته الفكرية التي تتجانس مع التمشي المنهجي الذي اتبع نصر حامد منذ البداية،وهو المنهج الواقعي،وهو اختيار فيه نظر اعتبارا لأنه سيفضي إلى خلخلة المنظومة القديمة كلها و اتهام السلف بالتقصير والفقر المنهجي،أي نعود إلى قوله الذي رمى به السلف وهو الرجعية،والجمع السلبي،أي الجمع الفاقد لكل منهجية ونقد،) و يكون على ذلك معنى النسخ هو إبدال نص بنص مع بقاء النصين و على ذلك يصعب أن نتقبل كثيرا من النصوص و الأنواع التي يوردها العلماء داخل قضية "الناسخ و المنسوخ" خاصة تلك النصوص التي يجعلون آخرها ناسخا لأولها.([xliv] من هذا المنطلق ندرك أن نصر حامد قد اتهم السلف بإخفاء أجزاء من النص القرآني نظرا لسوء فهمهم لمفهوم النسخ،كذلك تصنيفهم لمراتب الناسخ و المنسوخ لم يكن مجديا لأن النسخ في نظره هو إنساء و ليس إلغاء،وهذا اتهام صريح من طرفه للعلماء القدامى بالتقصير من الناحية المنهجية؟لماذا لأنهم لم يلتزموا بالمنهجية الواقعية،أي أنهم أغفلوا الواقع و راحوا يجمعون الروايات جمعا غير واع،ثم يرجحون بينها دون وعي) و رغم هذا فقد درج المتأخرون على جمع الروايات دون فحص أو توفيق و الأخطر من ذلك دون جرأة على اجتهاد حقيقي([xlv]

هذا في نظري تلفيق منهجي من طرفه،نظرا لعداوته الصريحة للسلف،وعدم قبوله لمنطقهم،لذلك راح يشكك في مصداقيتهم وإمكانياتهم المنهجية حتى يتسنى له بعد هذه الخلخلة في حقل السلف تنصيب منهجيته كبديل علمي وعقلي لهذه المنهجية المتهافتة التي لم تؤت أكلها.فالمنهجية الجديرة بالتبني هي المنهجية التي تولي الواقع الأهمية الكبرى و تنزله المنزلة الأولى قبل الإله،نظرا لأن الإله لابد له من مواكبة التغير الذي يطرأ على الواقع،وهو في هذا ينطلق من مبدأ التدرج في التشريع يقول في هذا المجال) لا شك أن إبدال نص بنص بما يترتب عليه من إبطال حكم بحكم آخر يمكن أن يُدرس من زوايا عديدة،أهمها التدرج في التشريع خطوة خطوة مراعاة لقانون التدرج في عملية التغيير.و إذا كان النص في مفهومه الأساسي من حيث كونه وحيا انطلق من حدود مفاهيم الواقع،فلا شك أنه في تطوره كان لا بد أن يراعي هذا الواقع.و لا يصح أن يكون هذا محجوجا بتصور أن الله لا يجوز عليه التغير،و أن علمه الشامل للماضي و الحاضر و المستقبل و للكليات و الجزئيات يمنع من أن يحكم

بحكم ثم يغير هذا الحكم،فالتغير صفة ثابتة في الواقع لازمة له من حيث هو حركة مستمرة سيالة دافقة.و مادام النص نصا متوجها للواقع فلا بد أن يراعي شروط الواقع.([xlvi]

إن مقاربة نصر حامد في هذا المجال تجعل الواقع خارج إطار الحكم الإلهي،وهذا نفهمه من خلال تأكيده على ضرورة مراعاة الله لسمة الواقع المتغير،فهو قد رأى أن السلف قد اقتربوا من هذا الفهم الواقعي،لكن فهم السلف يختلف عن فهم نصر حامد نظرا لأنهم ينطلقون من منظومة إيمانية تؤكد على أسبقية الإلهي على البشري،كذلك على خضوع كل الكائنات،بما فيهم الواقع للإرادة الإلهية،أما نصر حامد فإنه يفصل بين الواقعي و الإلهي،بل ويقدّم الواقع على الله،من ثم لا يمكن الجمع بين التصور السلفي للواقع و بين تصوره هو له،نظرا لأن هذه الفلسفة بأصولها العديدة قد تبلورت معالمها في العصر الحديث مع الماركسية.

لو ننطلق من منطق منهجية نصر حامد،التي تؤكد أن الثقافة هي نظام ديناميكي خاضع لحركة الواقع،فهي كالبنية الفوقية في علاقتها بالبنية التحتية،حيث تتغير بتغيره،و الثقافة كما رأينا تعتد بالنصوص الجديدة التي أنتجتها لكنها قد تحتاج في ظروف خاصة تبعا لحركة الواقع إلى أنظمة أخرى لتجدد نفسها،لذلك تلجأ إلى البحث في الحقب التاريخية الماضية و النصوص المنسية على ما ساعدها على تحقيق ذلك،من ثم تغدو النصوص المرفوضة سابقا إلى نصوص معتدة بقيمتها نظرا لحاجة الواقع إليها،هذه النظرة السيميوطيقية للثقافة في تعاملها مع النصوص،يطبقها نصر حامد على نصوص القرآن مستخدما الناسخ و المنسوخ بمعنى الإنساء) و إذا كانت وظيفة النسخ هي التدرج في التشريع والتيسير،فلا شك أن بقاء النصوص المنسوخة إلى جانب النصوص الناسخة يعد أمرا ضروريا ،وذلك لأن حكم المنسوخ يمكن أن يفرضه الواقع مرة أخرى.([xlvii]

بذلك يصبح تشريع الأحكام مرتبطا بحاجة الواقع،وهو في هذا يكبل نصر حامد الإرادة الإلهية و يجعلها مرتهنة بإرادة الواقع،وهذا يتنافى مع منطق إيمانه بألوهية النص القرآني،و بالإله ذاته من حيث اتصافه بالقدرة التامة،إن منظار الثقافة الذي ينطلق منه نصر حامد هو منظار إنساني،والإنسان في هذا يطاله النسيان،و الغفلة،و الهوى،و المصالح،لذلك فإنها قد ترفض ما كانت قد اعتدت به سابقا نظرا لأن الظروف الراهنة قد غيرت من مجرى الأهداف مع تغير الأطراف،و تغير منظار الرؤى و المنطلقات،وهذا المبدأ لو طبقناه على الإلهي لتحول إلى إنساني،و لما عاد هناك إله، هذا ما يريده نصر حامد بالضبط نظرا لأنه مرتكَز المنظومة السلفية،وهو يريد نسخها و إغفالها،وذلك من خلال تحويل الإلهي إلى إنساني،و جعل الأحكام والعقائد الإلهية تعبر عن تصورات ذهنية تسيّر الإنسان و توجه السلوك أكثر من كونها تعبر عن وجود مفارق،وفي هذا يساير نصر حامد أستاذه حسن حنفي في توجهه اليساري المؤكد على أولوية الواقع و الإنسان،فالنص القرآني من منطلق هذا العلم – الناسخ و المنسوخ-نزل) بناء على نداء الواقع و اكتمل بناء على تطوره،وأعيدت صياغته طبقا لقدرته و أهليته على ما هو

معروف في الناسخ والمنسوخ،وهب عملية جدلية بين الفكر و الواقع. الواقع ينادي على الفكر ويطالبه،و الفكر يأتي مطورا للواقع ويوجهه نحو كماله الطبيعي،ثم يعود الواقع فينادي فكرا أدق و أحكم حتى يتحقق الفكر ذاته و يصبح واقعا مثاليا يجد فيه الواقع كماله .[xlviii])

بهذا يقر إمكانية استرجاع الأحكام التي وقع نسخها نظرا لحاجة الواقع إليها،فالنص بذلك يفقد قدسيته فالذي وقع تجاوزه من قبل النص يمكن استرجاعه وما وقع تثبيته يمكن نسيانه،نظرا لحاكمية الواقع على النص لا العكس،نظرا لأن نصر حامد قد جعل المنسوخ في حكم "المنسأ" وهذا المنسأ كامن بالقوة في الذاكرة لم يقع طمسه أو إبادته فهو في حالة انتظار للعودة متى حتم الواقع ذلك) و إذا كان علماء القرآن قد أخرجوا هذا "المنسأ" من باب الناسخ و المنسوخ فإن تحديد وظيفة النسخ في التسهيل والتيسير في التدرج في التشريع تجعل المنسوخ كله من باب "المنسأ"،و يكون معنى التبديل في الآيات التي ناقشناها...هو تبديل الأحكام لا تغيير النصوص بإلغاء القديم بآخر جديد لفظا و حكما.وإن فهم معنى "النسخ" بأنه الإزالة التامة للنص تتناقض مع حكمة التيسير و التدرج في التشريع.[xlix](إن فهم نصر حامد للنسخ يظهر في تأكيده على التيسير و التسهيل في التشريع ومعنى الإزالة لا يتماشى و المفهوم الذي أراده نصر حامد للنسخ،نظرا لأنه اعتمد مفهوم الجدلية بين البنى،فكل رجوع في مستوى البنية التحتية يحتم رجوع البنى الفوقية المتولدة عنها.

١١. في طريق الختام: مملكتي ليست في هذا العالم

بهذا أصل إلى الرأي الآتي: إن العقل ناسخ للنص ،بمعنى أن أحكام القرآن قد تكيفت مع واقع ثقافي مرتبط بمكان و زمان معينين،ومع تجدد الواقع و أحكامه وجب تجديد النص،و بما أن النص ثابت وجب نسخ بعض عناصره التي لا تتجاوب و روح العصر ،نظرا لأن الإنسان قد خرج من بيئة إلى أخرى،من بيئة ميتافيزيقية إلى بيئة علمية عقلية،وبما أن اللاحق ينسخ السابق إن تعارض معه فإن الواقع الحديث ينسخ كل الأحكام و الشرائع المسلطة عليه،وبما أنه وصل إلى قدر من العقلانية التي تخول له رفع الوصاية الشرعية عليه،فإنه ارتأى التحرر،بل لنقل التحلل من سلطة النص و التحول إلى سلطة العقل،وفي هذا نسخ لسلطة الإله و تثبيت لسلطة الإنسان،إنه نسخ للثوابت بالتيه و التحول،نسخ لسلطة السلف-النقل- بسلطة الخلف-العقل-إنه إلغاء للماضي بما هو سلطة ،وهذا الرفض يفضي إلى رفض النص القرآني،و من ثم إهدار له.إنها رغبة ممن يزعمون حماية النص القرآني إلى إهداره وسلبه صفة القدسية حتى نفعل فيه ما نشاء،وكل ذلك باسم التقدمية و الإصلاح) مادام المنسوخ نوعين: نوعا باق خطه (لفظه) مُزال حكمه،و نوعا مُزال حكمه مرفوع خطه (منسى)،فَلِمَ لا ننسخ حكم الآيات التي لا تماشي العصر محافظين على رسمها...باعتبار قداستها و بلاغتها ودلالتها على هويتنا و تطورنا ؟ فالإبقاء على أحكام من قبيل تعدد الزوجات،و قوامة الرجال على النساء،و الإرث(عدم التساوي بين الذكر و الأنثى) و الحد

والقصاص...ومعاداة "أهل الكفر" و محاربتهم...و الردة...ليس معيقا لتقدم المجتمع فقط ،بل هو علامات تدل-في نظر الآخر و العصر و بعض المسلمين المتنورين على عنف المسلم و شراسته و تخلفه و بدائيته.[I](هذا خطاب المفكر المعاصر دليل على تأدلج أفكاره و تبعية المغلوب لمنطق الغالب،لذلك يسعى إلى نقض أحكام نصوصه بدعوى التحديث،والحال أنه يسعى إلى اختزال النص من خلال نسخ هذا وإبطال ذاك،وهو يُلبِس هذا الفعل إهاب الإسلام و الدفاع عنه،لكن الحقيقة خلاف ذلك،لأن هناك ماهو مصرح به وهذا في حقيقته قناع يحجب المخفي من القول وهو المراد،لكن يتوسل بتقية الخوارج حتى يضمن لرأيه الرواج،فهو في الأخير نوع من المخاتلة.

هذا دليل على غربة المفكر الحديث فهو لم يجد ذاته،فراح يبحث عنها عند "الآخر" فتبنى فكره وأقانيمه و أطروحاته ظنا منه أنه اكتشف ذاته و الحال أنه أهدرها باتباعيته له، فهو حينما قام بتصفية حساباته مع الكنيسة فعل المفكر العربي مثله من خلال دراسته للنص القرآني،فبما أن النص منتمي إلى زمن الماضي فلابد من مراجعة بعض معطياته انطلاقا من الكشوفات العلمية الحديثة،فالفكر الحديث لم يعد يقبل بفكرة العذاب الجسدي و التصور الأسطوري للآخرة،و بعض الأحكام الشرعية،لذلك وجب نسخ هذه الأحكام،و ناسخها هو العلم الحديث،إنها إرادة إيديولوجية لا علمية من طرف المعاصرين لفك سلطة السلف.إنهم يقترحون إصلاحات ضد الشرع و متسقة مع القيم الحديثة،لكن يقع عرضها على أنها من الدين،وهذا التزوير بعينه،إنه الهوى الذي يحكم فما لم يرده الإنسان لا يطبقه،و ما أراده يبقي عليه بدعوى التحديث،و بما أن الإنسان محكوم بسلطة الزمن فإنه سيتلاعب بالنص لأن كل جيل له أهواؤه،وفي خضم ذلك تُهدر كينونة النص و يفقد سلطانه، ومن وراءه يغيب الإله وراء ظل الإنسان.فكل جيل له إله،و بذلك يستمر الوحي،الوحي العقلي،و تتمادى سلطة النسخ معه. p أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ[Ii]i

تلك هي قراءة نصر حامد لبعض علوم القرآن،إنها دعوة صريحة من طرفه لنسخ النص و تجاوزه بدعوى إلزامية الواقع،من ثم يهدر كينونة النص التي يسعى إلى إرجاعها،نظرا لتمسكه بمقولة الواقع. ولكن هل نفس التمشي سيجريه مع توظيفه للهرمينوطيقا في قراءته للنص القرآني؟ أي النتائج ستترتب عن ذلك ؟

---

[i] حرب (علي)، نقد النص ، ص٢٠٤
[ii] المرجع السابق ، ص ٢٠٦-٢٠٧
[iii] انظر الحوار الذي أجراه خالد سالم مع نصر حامد ضمن مجلة العربي، عـ٤٥٠ـدد، ماي/١٩٩٦ ، ص ٦٩
[iv] المرجع السابق، ص٧٠

[v] بن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر ، د-ت/ د-ط ، ٤٦/١
[vi] السيوطي(جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة العصرية –بيروت، د-ط/ ١٩٨٨ ، ١/ ٨٢
$ بن عاشور (محمد الطاهر) ، مفسر وفقيه تونسي، ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م-١٣٩٣/١٩٧٣.من أشهر مؤلفاته تفسير القرآن، التحرير والتنوير.انظر ترجمته، الغالي(بلقاسم)، من أعلام الزيتونة، محمد الطاهر بن عاشور، حياته و آثاره، تونس، د-ط/د-ت
[vii] بن عاشور (محمد الطاهر)، المرجع السابق ، ٤٦/١
[viii] القمر ، ٥٤/٥٣
[ix] الأنعام، ٦/٥٩
[x] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص ، ص٢٤
[xi] المصدر السابق ، ص٦٥
[xii] المصدر السابق ، ص ٦٥ انظر كذلك ، ص٦٦-٦٧ –٦٩-
[xiii] المصدر السابق، ص٩٧
[xiv] السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٢
[xv] أبو زيد (نصر حامد) ، مفهوم النص ، ص ٩٧
$$ اعتمدنا في عد الآيات التي لها أسباب نزول على كتاب جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول،وهو تعداد نسبي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٢ / ١٩٩٨.
[xvi] لمزيد النظر في هذه النسب المئوية، انظر ، عمارة (محمد) ، مجلة المنهل ، ع٥٤٠دد / السنة ٦٣ /ماي ١٩٩٧ ، ص ٢٥
[xvii] حنفي (حسن)، الوحي و الواقع (دراسة في أسباب النزول)، ندوة مواقف، الإسلام و الحداثة، ص ١٣٥ص-١٣٦
[xviii] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص، ص ١١١
[xix] المصدر السابق، ص ١١٢
$$$ هذا المفهوم للتنجيم يستند إلى قوله تعالى، p وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَاسِ عَلَى مُكْثٍ i الإسراء، ١٧/١٠٦ و قوله تعالى p وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِتَ بِهِ فُؤَادَكَi الفرقان، ٢٥/٣٢
[xx] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص، ص٩٩
[xxi] المصدر السابق، ص٩٩
[xxii] المصدر السابق، ص ٩٩
[xxiii] المصدر السابق، ص١٠٠
[xxiv] المصدر السابق، ص١٠٢
$$$$ انظر رأي نصر حامد في قضية السنة و طرق معالجتها من قبل القدماء،و اتهام المحدثين بفقدان الحس النقدي و مساندة القوى المسيطرة و الطابع الإيديولوجي لأحكامهم، الخطاب الديني رؤية نقدية، ص٦٥-٦٦-٦٧
$$$$$جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي قوله، اختلف أهل الأصول ، هل العبرة بعموم اللفظ أو

بخصوص السبب؟والأصح عندنا الأول ،وقد نزلت آيات في أسباب،واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها. انظر الإتقان، ١/ ٨٥ وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وقد أراحنا علماء الأصول حين قالوا " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" انظر التحرير و التنوير، ٤٦/١

[xxv] أبو زيد (نصر حامد)، الخطاب الديني رؤية نقدية، ص ١٤٢

[xxvi]المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠

[xxvii] المصدر السابق، ص١٤٢

[xxviii] المصدر السابق، ص١٤٣

[xxix] المصدر السابق، ص١٤٣

[xxx] المصدر السابق، ص ١٤٤

[xxxi] المصدر السابق، ص ١٤٤

[xxxii] المصدر السابق، ص ١٤٥

[xxxiii] أوسبنسكي ، نظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات ، تر نصر حامد أبو زيد، ضمن ، مدخل إلى السيميوطيقا، ٢/ ١٦٣

[xxxiv] أبو زيد(نصر حامد)، مفهوم النص، ص ٢٧-٢٨

[xxxv] حنفي (حسن)، التراث و التجديد، موقفنا من التراث القديم، ط/٤ –١٩٩٢ .المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ص١١٣

[xxxvi] لوتمان (يوري)، حول الآلية السيميوطيقية، تر، عبد المنعم تليمة .ضمن ، مدخل إلى السيميوطيقا، ١٣٨/١

[xxxvii] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص، ص ١١٥

[xxxviii] الحج، ٥٢/ ٢٢

[xxxix] النحل، ١٠١/١٦

[xl] حرب (علي)، لعبة المعنى، المركز الثقافي العربي.بيروت، ط١/١٩٩١ ، ص ١٥٦

[xli] الخضري بك (محمد)، أصول الفقه، دار الفكر.بيروت-لبنان، د-ط/ ١٩٨٨، ص ٢٥٧

$$$$$ انظر السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن ، ٣/ ٦٥-٦٦-٦٧-٦٨

[xlii] أركون (محمد)، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، دار الساقي ، بيروت-لبنان، ط١/ ١٩٩١ ، ٦٧ .كما نجد في ذات الصفحة اعترافا صريحا باتهام المفسرين القدامى ومحاولة لإرجاع النظام الاجتماعي الجاهلي الذي حاول القرآن نسخه، المقصود بالإرادة الصريحة هنا إرادة الفقهاء الذين فسروا القرآن بالطريقة التي تناسبهم،بل و احتالوا عليه من أجل المحافظة على نظام الإرث العربي الذي كان سائدا قبل ظهور الإسلام و الذي حاول القرآن تغييره أو تعديله بشكل جذري.

[xliii] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص، ص ١١٧

[xliv] المصدر السابق، ص ١٢٠

[xlv] المصدر السابق، ص ١٢٦

[xlvi] المصدر السابق، ص ١٢٠

[xlvii] المرجع السابق ، ص ١٢٢
[xlviii] حنفي (حسن)، من العقيدة إلى الثورة، القاهرة د-ط/١٩٨٨ ، ٢/٥٠٤-٥٠٥
[xlix] أبو زيد (نصر حامد)، مفهوم النص ، ص ١٢٣
[l] خوالدية (الضاوي)، الناسخ و المنسوخ، تاريخية القرآن/الإسلام، مجلة دراسات عربية، عدد٥-٦. مارس/أفريل ١٩٩٦.دار الطليعة –لبنان، ص٧٤-٧٥
[li] البقرة ، ٢/٨٥